

الأثنين 6 من رجب 1430 هـ 29 يونيو 2009 السنة-133 العدد 44765

حكاية الترجمة عن العبرية (2)

بقلم : جابر عصفور



كان صعبا علي الهيئة الاستشارية للمشروع القومي للترجمة أن لا تتيح للقارئ المصري والعربي ما يجب أن يعرفه عن إسرائيل، وذكرني بعضهم بما حدث في الزمن الناصري حين كانت مذكرات بن جوريون، وموشي ديان، وتاريخ العصابات الصهيونية متاحة للقارئ، ولكن كان التزام الوقوف ضد التطبيع يحول بيننا والترجمة عن العبرية مباشرة، وكانت نتيجة المناقشات الطويلة أمرين أولهما أن نترجم الكتب الإسرائيلية المهم معرفتها للقارئ العربي عن لغة وسيطة، ما دمنا نصدر معها مقدمات كاشفة بواسطة مختصين في الدراسات الإسرائيلية من المتخصصين باللغة العبرية وثانيهما أن نترجم حتي الكتب التي يكتبها مؤلفون معروفون باتجاهاتهم الصهيونية، شريطة أن تكون مسبقة بمقدمات كاشفة وتعليقات لازمة في الهوامش وكان من نتيجة ذلك أننا أصدرنا كتاب 'قصص اليهود' (ورقمه 465) تأليف لويس جنزبرج وترجمة جمال الرفاعي، ومراجعة وتقديم محمد خليفة حسن وصدر الكتاب سنة 2002، وجاء بعده كتاب تحديات ما بعد الصهيونية الذي صدر باللغة الإنجليزية، من تأليف إفرايم نيمني، ترجمة أحمد ثابت ومراجعة محمد صفاء وهو كتاب بالغ الأهمية في الكشف عن النوايا الصهيونية ومخططاتها، وتعرية لاستراتيجياتها.

وقد جعلنا هذا الكتاب نكتشف المجموعة التي أطلقت علي نفسها، أو أطلق عليها غيرها، اسم المؤرخين الجدد في إسرائيل، وهي مجموعة تتميز كتاباتها بالموضوعية، وكشف الفظائع التي ارتكبتها العصابات الصهيونية مع تأسيس إسرائيل، فضلا عن القري التي أبادوها، والمجازر الجماعية التي ارتكبوها، فقررنا ترجمة مؤلفات هذه المجموعة، خصوصا أن عددا غير قليل منها متاح باللغة الإنجليزية، وبعضها كان أطروحات أكاديمية في الجامعات الغربية وأخذنا بالفعل في مراسلة الناشرين في أوروبا وأذكر من هذه الكتب التي أعلننا عن ترجمتها كتابا عن نشأة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذي صدرت له طبعة جديدة حديثا، وهو من تأليف بيني موريس، وكتاب العولمة وعالم ماك الإسرائيلي في تل أبيب، وعنوانه الفرعي الجهاد في القدس من تأليف يوري رام، وبن جوريون وكتاب تحديات الهوية الإسرائيلية وعنوانه الفرعي الديمقراطية والدولة من تأليف كلاين جونز وإيما ميرفي ويقرب من ذلك،

ولو أنني لست متأكدا أنه من مجموعة المؤرخين الجدد، كتاب الشرق الأوسط اليوم منظور جغرافي وثقافي من تأليف دونا ستيوارت وأضيف إلي أسماء المؤلفين السابقة ما أنا متأكد منه، ومن نسعي إلي نشر كتبهم وترجمتها، وأهمهم توم سيجيف، وسيما فلابان، وهليل كوهين، وإيلان بابي، وأفي شلايم، وبينني موريس ولا تزال الاتصالات متواصلة بيننا وبين الناشرين الأوربيين للحصول علي ترجمات فرنسية أو إنجليزية من تأليفهم، فمن حق القارئ العربي علينا أن يري صورة أقرب إلي الموضوعية التاريخية، الأمر الذي يؤكد ضرورة أن نعرف أن كل الإسرائيليين ليسوا صهيونيين، وأن منهم من يتعاطف مع القضية الفلسطينية، ويرى ضرورة إيجاد حل عادل لها وإذا كانت المعرفة قوة، فإن ذلك يفرض تعريف القارئ بأمثال هؤلاء، فالإصرار علي الجهل بهم، هو الخيبة ذاتها، والهزيمة الداخلية التي تسبق الهزيمة الخارجية ولنتذكر الدرس الذي تعلمناه بدماء شهدائنا التي انسكبت علي رمال سيناء وعلي مرتفعات الجولان، وفي الضفة الغربية، سنة 1967.

أما الكتب ذات التوجه الصهيوني التي حرصنا علي تعريف القارئ العربي بها، فمنها وأهمها كتاب الإسلام وأزمة العصر الذي كتبه برنارد لويس، وهو من أشهر المعروفين بالعداء للعرب، وقد تولى إدوارد سعيد تسفيته الكثير من دعاويه في دراساته ومقالاته التي لا تزال منشورة باللغة الإنجليزية التي أرجو أن تتاح لنا فرصة

ترجمتها ولما كنا نعرف توجه برنارد لويس، فقد حرصنا علي أن يتولي ترجمة كتابه الصديق أحمد هيكل ابن المرحوم محمد حسين هيكل وأن يقوم الصديق **رعوف عباس** بإعداد تقديم ودراسة للرد والكشف عن مخادعات الكتاب وبالفعل صدر الكتاب في المشروع القومي للترجمة (عدد 741) وكان مترجما عن الإنجليزية ومن المفارقات الطريفة التي حدثت لنا، في هذا الاتجاه، كتاب عن الشتات اليهودي المصري السياسي والثقافي وعلاقته بتكوين الشتات الحديث وترجع أهمية هذا الكتاب إلي أنه يعد الدراسة الوحيدة التي جمعت بين تأصيل الوجود اليهودي في مصر، وواقع اليهود الذين غادروها منذ 1948 في البلاد التي توجهوا إليها إسرائيل، أوروبا، أمريكا وقد اعتمدت الدراسة علي الوثائق الخاصة بتلك الجماعات الرسمية أو الطائفية، خاصة الوثائق العبرية، وعلي مقابلات شخصية بين المؤلف وعدد من أقطاب اليهود الذين خرجوا من مصر، ومؤلف الكتاب يهودي أمريكي، هاجر أبواه إلي إسرائيل، وقد أخذنا في ترجمة الكتاب بالفعل، وكان المؤلف يقوم بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ورحب بالترجمة لكنه ما إن عرف أننا سنكلف المرحوم **رعوف عباس** بمراجعة الترجمة وإعداد مقدمة وما يلزم من تعقيبات، حتي أصابه الذعر الذي لم نفهمه، ولكن الذعر أصبح مفهوما عندما رفض المؤلف أن يكتب **رعوف عباس** تقديمًا للكتاب، كما فعلنا مع كتاب برنارد لويس، واشترط علينا أن نترجم الكتاب كما هو، وحاولنا أن نوضح له أن هذه سياسة المشروع القومي للترجمة، فرفض المؤلف أن يقوم أحد بالتقديم، فاعتذرنا عن ترجمة الكتاب الذي رأينا ترجمته العربية منشورة بعد ذلك في دار الشروق القاهرية دون تقديم أو تعقيب أو تذييل وليست هذه مسؤوليتنا علي أي حال ولا يزال المركز القومي للترجمة يحتفظ في محفوظاته بالتقرير الذي كتبه **رعوف عباس** بخطه وليت أسرته تعده للنشر فيما لم ينشر من كتاباته وتقاريره، رحمه الله، فقد كان عالما وطنيا قوميا بكل معني الكلمة.

وجاء ترشيح عدد من الروايات الإسرائيلية للترجمة متفقا مع الخطة التي نسير عليها، وحددنا أسماء أكثر الروائيين الإسرائيليين شهرة في الأدب العالمي، وعلي رأسهم ديفيد جروسمان، وعموس عوز، وغيرهم ممن يعد المركز حصرا لأسمائهم وأهم أعمالهم وما إن عرف هذا الخبر حتي اتصل بنا مدير وكالة الأنباء الفرنسية، وأخبرته أن ما ننوي فعله هو استمرار لما فعلناه من قبل، وأن الترجمة ستكون عن لغة بسيطة، وليس عن العبرية، فالمركز لن يتعامل مع أي دار نشر إسرائيلية، وهو ملتزم بالموقف العربي إلي أن نصل إلي سلام عربي عادل وشامل مع إسرائيل، ولا يدخل في باب التنازل بسبب ترشيح فاروق حسني لليونسكو، ولكن صدر بيان وكالة الأنباء الفرنسية علي طريقة لا تقربوا الصلاة واصطادت قناة الجزيرة فيما ظنته مياها عكرة، وظلت طوال يوم كامل تنشر في شريط أحمر أسفل الشاشة أن المركز القومي للترجمة يترجم كتباً أدبية لإسرائيل، وقامت الدنيا ولم تقعد، فاضطر المركز لإصدار بيان ولكن اندفع المسارعون إلي الاتهام بالباطل، وما أكثرهم بين المثقفين المصريين والعرب، وهواة المزايدة موجودون دائما، وكل ما فعلناه هو مراسلة الناشرين الأوروبيين، ولم نكلف أحدا بترجمة أي شيء بعد.

والمفارقة المؤسسية التي لا يعرفها هؤلاء أن مذكرات وايزمان وجولدا مانير، وبن جوريون، وبيجين مترجمة في القاهرة منذ الفترة الناصرية، تحت شعار اعرف عدوك وأن سفير إسرائيل الأسبق في القاهرة ترجمت مذكراته بعنوان سبع سنوات علي النيل وقد نبهني الصديق يوسف القعيد إلي أن عاموس عوز سبق أن ترجمت له الدار العربية للنشر روايته حنا وميخائيل، وقام بالترجمة رفعت فودة، وقدم أمين المهدي صاحب الدار للرواية أما ديفيد جروسمان فقد ترجمت له الهيئة العامة لقصور الثقافة، في سلسلة آفاق الترجمة، رواية الرياح الصفراء عام 1999 وترجم حسين سراج رواية إيلي عمير ياسمين التي نشرتها دار ابن لقمان في المنصورة، كما ترجمت مجلة الكرمل التي كان يرأس تحريرها محمود درويش، رواية ليانيل ديان ابنة موشيه ديان وترجمت دار الجليل في الأردن مذكرات إيريل شارون،

وترجم في العراق عدد من روايات إسحق بارموشيه ولا أظن أن أغلب هذه الترجمات كانت تخرج عن الهدف نفسه، وهو معرفة المجتمع الإسرائيلي التي تقوم هذه الروايات بنقده ويتميز ما نفعله بالتدقيق في الاختيار، وعدم ترجمة شيء إلا بعد التقديم الكاشف للأهمية أو القيمة، مع التعليق علي كل ما يستحق التعليق، وحتى لو كان لأحد الروائيين موقف ندينه قوميا فلن نترجمه عن لغة أوروبية، إلا بعد تقديمه بما يكشف عن مواقفه، مع التعقيب علي ما يستحق الترجمة، فهذه مهمة المركز القومي للترجمة وواجبه الوطني والقومي بوصفه المركز القومي.

<http://www.ahram.org.eg/Index.asp?CurFN=WRIT4.HTM&DID=9993>